مقارنة بين أهداف الحركات الإسلاموية الوطنية وطموحاتها وبين الحركات الإسلاموية العالمية وطموحاتها

جوزيف كامينسكي
جامعة سراييفو الدولية، البوسنة والهرسك

مقدمة

شهد القرن الماضي هيمنة أنظمة ملكية واستبدادية فاسدة على العالم العربي، وفشل نموذج الدولة القومية كما مُورس في العالم الإسلامي في وظائف أساسية كثيرة لما يعدُّ حكمًا رشيدًا[1]، وفيها الحفاظ على حقوق الأقلِّيات. وفقًا لـ (زيد عيادات):

بصراحة وبساطة، لقد فشلت الأنظمة والملكيات القديمة في الإقليم فشلًا ذريعًا في إنتاج طرق إبداعية لدمج الأقلّيات في الدولة والإطار الاجتماعي على نحو عام. برز مع انبثاق الدولة القومية مقاربة من أعلى إلى أسفل ثقيلة الوطأة، لحل كل قضية غير مرغوب فيها، وفيها حقوق الأقلّيات. (عيادات 2013م، 735).

ونتيجة حالات الفشل هذه، شهدت نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين معاودة ظهور قوة حركات سياسية قائمة على الإسلام والاهتمام بها (روي 2012م وعيادات 2013م). وعلى الرغم من مخاوف من مزج الدين والدولة في الغرب، كان العرب والعالم الإسلامي بوجه عام أكثر

قبولًا لهذه الفكرة المحظورة في أذهان الليبراليين. «على الرغم من أن الغرب متشكِّك جوهريًّا في نهوض الإسلام بوصفه قوة سياسية، إلا أن العرب أكثر تنوعًا في مواقفهم السياسية». (عيادات 2013م، 734). ويهدف هذا المقال إلى إظهار بعض أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين حركات إسلامية وطنية وعالمية فيما يتعلَّق بالتسامح، والحرية الدينية، واستخدام العنف.

سأنظر بتفصيل أكبر إلى أمثلة حركة النهضة التونسية، والإخوان المسلمين في مصر، وحماس بوصفها حركات إسلامية ذات قاعدة وطنية في القسم الآتي، وبعد نقاش يتناول حركات إسلامية وطنية، سأنظر في أمر حركات إسلامية عابرة للحدود، وسأتكلم عن حالتي القاعدة وداعش بوصفهما مثالين عن حركات إسلاموية عالمية معاصرة، وسيتناول القسم الأخير الحالة الهجينة لحزب الله.

حركات إسلاموية ذات مرتكزات وطنية

ربما تكون إحدى أكثر الحركات الإسلامية الحالية نجاحًا في إفريقيا، بمعيار السلطة والنفوذ السياسي المتواصل، هي حركة النهضة التونسية. انبثقت النهضة باسم حركة الاتجاه الإسلامي في عام 1981م، وغيَّرت اسمها في سنة 1989م إلى حركة النهضة، وقد اكتسبت النهضة إلهامًا من الثورة الإيرانية في 1979م (على الرغم من أن تونس سنِّية 100٪ تقريبًا)، ومن الإخوان المسلمين المصرية، ومن فِكَر حسن البنا (رايت 2001م ولويس 2011م).

وعلى الرغم من أن حركة النهضة كانت في الثمانينيات أكثر توجهًا نحو التطرُّف، فإنها غيرت مسارها في وقت لاحق، ووفقًا لإيدن لويس: «مصطفًّا إلى جانب حركات إسلامية أكثر تطرُّفًا في أماكن أخرى في العالم العربي

في الثمانينيات، يفضِّل السيد الغنوشي وقادة آخرون في النهضة الآن مقارنة الحركة بحزب العدالة والتنمية في تركيا». (لويس 2011م). ويرى الغنوشي أوجه تشابه بالطريقة التي يثبِّت بها الإسلام كلًّا من المجتمعين التركي والتونسي. وتتكوَّن كلتا الأمَّتين من أغلبية مسلمة، وتمتلك كل منهما واحدة من أكثر الأماكن الإسلامية المقدَّسة مهابةً في العالم؛ آيا صوفيا في إسطنبول، تركيا، وجامع القيروان الكبير في القيروان، تونس.

«وبعد وصول النهضة إلى السلطة عقب خلع المستبد المكروه زين العابدين ابن علي، ومن أجل مصالح عملية، دُمجت بعض عناصر النظام السابق في الحكومة الجديدة، وبحسب تعبير زعيم النهضة ومؤسسها راشد الغنوشي: «تصبح مشاركة السلطة في بيئات إسلامية أو غير إسلامية ضرورة من أجل وضع أسس النظام الاجتماعي». (الغنوشي 1998، 273). وأدركت قيادة النهضة أن هذا سيساعد على نقل السلطة»، وفقًا لـ (لونغو):

في الواقع، عندما تشكل نداء [تونس] بعد ثورة 2011م، كانت النهضة قد دمجت أعضاء عدَّة من النظام السابق في صفوفها لضمان دور لهم بعد الثورة، وتقوية موقعها بمواجهة قوى سياسية أخرى. هذه هي حال الحبيب الصيد؛ السياسي منذ وقت طويل في التسعينيات، الذي عُيِّن وزيرًا للداخلية في أثناء المرحلة الانتقالية بقيادة المبزع والسبسي، ثم مستشارًا لرئيس الوزراء ضمن حكومة نهضة بقيادة حمادي الجبالي. (لونغو 2014م).

كانت المرونة محط اهتمام النهضة منذ وصولها إلى السلطة، ويقول الغنوشي نفسه: «الواقعية والمرونة من أهم ميزات المنهج الإسلامي» (الغنوشي 1998، 272). ويدرك الغنوشي أن ظروفًا جيوسياسية تاريخية مختلفة تتطلَّب

طرقًا مختلفة في حكم دولة من الدول، ولا يستطيع المرء ببساطة تطبيق خلافة بأسلوب القرن الثامن في عالم القرن الواحد والعشرين.

وعندما تولَّت النهضة السلطة، خفَّفت من بعض المواد الإسلامية الأكثر إثارة للجدل في دستورها، وقوَّى هذا الأداء في الواقع موقعها ضد أحزاب علمانية أخرى. «الآن بعد إقرار الدستور الجديد، وكونه أقل إسلاموية من أي توقُّع. والأمر الذي ينطوي على مفارقة هو أن الجبهة المضادة للإسلاميين أمست أضعف من ذي قبل وفقدت ترابطها». (لونغو 2014). لقد بيَّن الغنوشي أن مبادئ العدل الموضَّحة في القرآن الكريم يجب أن تكون الأساس والقاعدة لما يكوِّن العدالة. «ويؤكد الغنوشي أن إعادة قراءة نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف تحكمها مبادئ معيَّنة، وقد أضحت الأساس لتحديد المقبول من عدمه في العصر الحديث، وأحد تلك المبادئ الرئيسة يتمثل في العدالة (العدل)». (سعيد 1999، 312). وأساسًا يوجد العدل في القرآن الكريم والتفسير والتطبيق الملائمين للشريعة. وعلى كل حال وبوصفه واقعيًّا، يدرك الغنوشي والنهضة أيضًا ضرورة تحقيق أهدافه بطريقة عملية، بدلًا من استخدام العنف كما تفعل جماعات عابرة للحدود.

وجماعة الإخوان المسلمين المصرية مثال آخر على حركة إسلامية وطنية (روبين 2010أ وروبين 2010ب). وعلى الرغم من أن حركة الإخوان المسلمين العامة قد انتشرت إلى دول أخرى، فإن برنامجها العام يستند إلى بيئة وطنية قائمة سابقًا، وتسعى كل حركة إخوان مسلمين فردية إلى السلطة السياسية ضمن إقليم محدَّد قائم. ووفقًا لـ (روبين): «الإخوان المسلمون في كل بلد مستقلون بعضهم عن بعض، ولا يلجؤون عادة إلى الإرهاب، ويتَّبعون غالبًا سياسات مختلفة تلائم بيئاتهم، ويحاولون على الأغلب تفادي الدعاية». (روبين 2010ب، 1). ولا تسعى حركات الإخوان المسلمين الوطنية الفردية هذه إلى

ضم/أراضٍ أو الاستيلاء عليها كما تفعل القاعدة وداعش عادة، لهذا السبب يناقش هذا المقال حالة الإخوان المسلمين المصرية بوصفها حركة إسلامية وطنية.

تعود جذور الإخوان المسلمين المصرية إلى حسن البنَّا في عام 1928م، وقد نمت حركته بثبات إبان حقبة الثلاثينيات حتى الأربعينيات (سويج وفرانغانيلو 2010م)، ويُظن على نطاق واسع أن الملكية المصرية كان لها مصلحة بتصفيته. وفي عام 1948م، سرت شائعات عن انقلاب يقوده الإخوان المسلمون على محمود فهمي النقراشي باشا؛ ثاني رئيس للوزراء في المملكة المصرية (حسين 2010م)، ولقي البنَّا في النهاية مصرعه غيلة في عام 1949م. وفي الخمسينيات، تابع جمال عبد الناصر الجهود للحد من نفوذ جماعة الإخوان المسلمين المصرية، لكن بحلول ذلك الوقت، كانت الحركة قد مدَّت جذورًا عميقة في المجتمع المصري.

وربطت [جماعة] الإخوان نفسها، وبنت علاقات إستراتيجية مع مساجد وجمعيات خيرية ولجان أحياء، وسعت في الوقت نفسه إلى التأثير في ناشطين بِفِكَرِها الثورية، وعن طريق انضمامهم إلى خلايا محلية، تمكن أعضاؤها من التواصل مع كيان راسخ يتمتع بموارد كافية، ويتكوَّن من ناشطين ساعدوهم في مجالات حياتهم كلها. (حسين 2012م، 2).

في الستينيات، كان أشهر شخصيات الإخوان المسلمين المصرية سيد قطب الذي لم يدعُ إلى الجهاد العالمي، بل دعا إلى إعادة التركيز على القيم الإسلامية في مجتمعات مسلمة قائمة أصلًا (روبين 2010أ). في معالم في الطريق، كان اهتمام قطب الرئيس ينصبُّ على الجاهلية المتزايدة، أو حالة الجهل الهمجي،

وقد خشي أن يكون المسلمون في بلاد الإسلام يعودون إليها عن طريق الافتتان بالعناصر غير الأخلاقية للثقافة الغربية، وفقًا لقطب:

«نحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم؛ كل ما حولنا جاهلية .. تصورات الناس وعقائدهم، عاداتهم وتقاليدهم، موارد ثقافتهم، فنونهم وآدابهم، شرائعهم وقوانينهم. حتى كثير مما نحسبه ثقافة إسلامية، ومراجع إسلامية، وفلسفة إسلامية، وتفكيرًا إسلاميًّا .. هو كذلك من صنع هذه الجاهلية!!». (قطب 2007، 6).

يستمر موضوع العودة إلى حالة أكثر نقاءً في الخطاب الإسلامي، وسيتواصل، في أن يكون مؤثرًا في القرن الواحد والعشرين، وكان مركزيًّا في برنامج محمد مرسي لانتخابات الرئاسة 2012م، حيث سعى مرسي إلى إعادة إدخال الإسلام في النظام السياسي، وكان مهتمًّا كثيرًا بقضايا الحقوق الدينية والحريات بين الأقلِّيات، في خطاب ألقاه في ميدان التحرير بوصفه رئيسًا، كما نقلته الغارديان، يقول:

«أدعوكم لبدء مشروع النهضة هذا. نحن المصريين، مسلمين ونصارى، روَّاد التنمية والحضارة وسنبقى كذلك، سنواجه المحن والبرامج التي تهدف إلى تقويض عزيمتنا ووحدتنا الوطنية كما فعلنا في أثناء الثورة، أنا مصمِّم معكم على إدهاش العالم بالنهضة المصرية التي تحقق الازدهار والكرامة والاستقرار، أنا مصمِّم- بمساعدتكم- على بناء مصر جديدة، ودولة مدنية، نقيمها ديمقراطيًّا، سأكرِّس كل طاقاتي لهذا المشروع العظيم، وسأعمل على حفظ حقوق مصر القومية على كل الجبهات، عربية وإفريقية، إقليمية وعالمية». (محمد مرسي، خطاب في ميدان التحرير، 2012م).

وأوضحت الدولة المدنية وفقًا لرؤية القيادة الجديدة، على الورق على الأقل، رغبات القيِّمين عليها في تشجيع التنوع والتعددية الثقافية، وعلى الرغم من بعض البيانات التي أصدرها الإخوان المسلمون في عام 2013م وبدت مناقضة لحقوق المرأة، فقد سمح نظام مرسي للنساء بالمشاركة في حركتهم السياسية، وفقًا لـ (باكينام الشرقاوي)؛ إحدى المستشارات السياسيات لـ (مرسي):

وأكدت أن حركة الإخوان لا تتكلم نيابة عن الرئيس، الذي استقال من الجماعة لكنه بقي عضوًا في حزبها السياسي. وسألت: «هل يمثِّل أي بيان أصدره أي حزب أو جماعة سياسية الرئاسة؟ إنها ليست مؤسسة الرئاسة، وهي ليست كينونة رسمية». (كيركباتريك وشيخ، 14 آذار 2013م).

سعت حركة الإخوان المسلمين المصرية بقيادة مرسي إلى إبقاء سياساتها الداخلية ضمن حدودها، ولم تسعَ إلى تصديرها إلى أماكن أخرى، وكان مرسي مهتمًّا بالعمل مع حلفاء إسلاميين تقليديين في مجال السياسة الخارجية أكثر من أنظمة سابقة، على كل حال، ولم يسعَ إلى توسيع نطاق حكمه أو أراضيه، وهذا مشابه لأهداف حركة النهضة في تونس.

الحركات الإسلاموية ذات المرتكزات الوطنية لا تنبذ كلها العنف

لا يستطيع المرء أن يجادل بسهولة في أن الحركات الإسلامية الوطنية كلها تعارض استخدام العنف، ويناقش هذا المقال وجود نزعة ضمن معظم الحركات الإسلامية الوطنية لرفض العنف- على الأقل- بوصفه وسيلة لتحقيق غايات سياسية، والمثال المضاد الأكثر وضوحًا هو حماس في غزة؛ فالطريقة التي يُستخدم بها العنف في حالة حماس مختلفة عن حالتَي داعش والقاعدة، فعلى الرغم من أن داعش والقاعدة لا تمثلان أي أرض محدَّدة مثل حماس،

وتستخدمان العنف ضد كل من تشعران أنه يمثِّل تهديدًا لمصالحهما، فإن عنف حماس يستهدف كيانًا محدَّدًا وحيدًا؛ (إسرائيل). و«بحلول بداية التسعينيات، لم يعد الهدف إثارة عداء مع آخرين بسهولة كما في الماضي». (الحروب 2000، 51). ميَّزت حماس أن عدوها الرئيس هو إسرائيل لا الدول الغربية التي تدعمها، وعلى الرغم من أن حماس لا تزال تعارض الدعم الغربي لـ (إسرائيل)، فإنها لم تحاول شنَّ جهادٍ ضد الغرب كما فعلت/تفعل القاعدة وداعش.

ولدى الأخذ في الحسبان مستويات العنف في أثناء عملية الجرف الصامد التي أطلقتها إسرائيل في عام 2014م، يعدُّ الوضع بين غزة وإسرائيل بالمعايير المعقولة كلها حربًا أهلية متواصلة. وكان حصار البحرية الإسرائيلية لساحل غزة سيعامل بمعايير الأمم المتحدة بوصفه إعلان حرب صريحًا لو أن القطاع كان يحظى باعتراف رسمي على أنه دولة مستقلَّة[2]. و«فعل بدء حصار هو بمثابة إعلان حرب، وأحد الأعمال العدوانية المتعدِّدة المحدَّدة التي تظهر في تعريف الجمعية العامة [للأمم المتحدة] للعدوان الذي أقرَّته في 14 كانون الأول 1974م». (كراسكا 2010، 379–380). ومع استمرار افتقار غزة إلى الاستقلال بوصفها دولة معترفًا بها قانونيًّا، يبدو مرجَّحًا استمرار استخدام العنف. وعندما تشعر دول بأنها في مأزق و(ليس لديها ما تخسره)، تلجأ على الأرجح إلى العنف، مقارنة بحالها حين تشعر أن لديها مصلحة حقيقة تخسرها (ميكام 2006م). مثل أي دولة أو حركة، وطنية أو عالمية، عندما يشعر المرء بتهديد، يبدو مرجَّحًا أن يرد بعنف.

حركات إسلاموية عابرة للحدود والدول

الحركات الإسلاموية العالمية هي تلك الحركات التي لا تقيِّد نفسها بأي حدود أو حكومة وطنية محدَّدة، وتسعى إلى فرض وجهة نظرها العالمية على

منطقة غير محدَّدة بأي تخوم محلِّية ترسم قانونيًّا حدود دولة قومية. والانتقال من حركة وطنية إلى عالمية خيارٌ تكتيكي غالبًا من جانب الحركة، ويعني هذا أن حركة معينة يمكن أن تبدأ بوصفها جماعة وطنية وتتطوَّر إلى حركة عابرة للحدود. «وبالنسبة إلى كثير من التنظيمات الإسلامية، يكون التطور من منظمة وطنية إلى عالمية أساسًا نتيجة خيارات تكتيكية لا إستراتيجية تُتخذ لضمان ديمومة الحركة وشرعيتها». (ميكام 2006م، 3). وتتكوَّن مثل هذه الحركات أصلًا من سكان متجانسين عرقيًّا يتصوَّرون أنفسهم مضطهدين من قبل قوة أجنبية أو قوى أجنبية فيما يتعلَّق بالمنطقة (بوروز-جونسون 2013م). وفقًا لـ (كين ميكام)، هناك ثلاثة شروط محدَّدة تجعل الحركات الإسلامية تنزع إلى أن تصبح (عالمية). يمكن أن يساعد فهم هذه الشروط على إلقاء الضوء على السبب الذي يجعل هذه الحركات العالمية تصبح ما هي عليه، يقول ميكام:

«يرجح أن تغدو الحركات الإسلاموية عابرة للحدود على نحو متزايد في ظل ثلاثة شروط رئيسة:

أ. حين يصبح أعضاء في الحركة الإسلامية المحلِّية مرتبطين بالمشاركة في نزاعات خارجية بوساطة أنشطة تدريب.

ب. حين يكون تمويل الحركة عالميًّا والطرف المموِّل يقدِّم حوافز تنظيمية لعلاقات عالمية.

ج. حين تصبح الموارد الجغرافية ضرورية للتعبئة المتواصلة في سياق قمعي خارج حدود الدولة». (ميكام 2006م، 2).

وبخلاف حركات إسلامية وطنية مثل النهضة في تونس والدولة المصرية بقيادة الإخوان المسلمين في 2012م، تنحو حركات إسلامية عالمية بطبيعتها إلى

الظهور على هامش المجتمع السياسي، وتفتقر مثل هذه الجماعات عمومًا إلى إمكانية الاشتراك مباشرة في العمليات السياسية الوطنية، ونتيجة هذا الإبعاد، لا يكون لدى مثل هذه الحركات أي اهتمام غالبًا في التعاون أو تقديم تنازلات إلى أي كيان رسمي تقوده الدولة.

[إذا] لم تُدمج الجماعات الإسلامية في عمليات سياسية محلِّية وتتعرَّض بدلًا من ذلك لقمعٍ قاسٍ من قبل الدولة، فقد تصبح تنظيمات عابرة للحدود، ما يجعل السيطرة عليها صعبًا جدًّا. ونظرًا إلى أن المجموعات العالمية لا تستجيب جيدًا للسياسات المحلِّية، فإنها لا تتغير كثيرًا استجابة إلى حوافز سياسية. (ميكام 2006م، 5).

تنحو الحركات الإسلامية العابرة للحدود- بطبيعتها- نحو التذبذب بين العنف وعدم العنف، بناءً على ظروف خارجية، وأحيانًا تركِّز مثل هذه الحركات كثيرًا على قضايا محلِّية، وفي أحيان أخرى ينصبُّ تركيز هذه الحركات نفسها على قضايا عالمية.

وفيما يتعلق بـ (القاعدة) التي تعني الأساس بالعربية، كانت الجماعة منذ بداياتها تنظيمًا إسلاميًّا عالميًّا، أُنشئت القاعدة في أواخر الثمانينيات، وموَّلها إلى حد كبيرٍ المواطن السعودي أسامة بن لادن، وقد كرَّست جهودها منذ البداية لإنشاء خلافة عالمية، واستخدام العنف على نطاق غير مسبوق لتحقيق أهدافها (مقدم 2010م). وسعى أفرادها أيضًا إلى تشجيع المشاركة في حركتهم من قبل مسلمين (سنَّة طبعًا) من كل أرجاء العالم، بكلماتهم: «نأمل على وجه الخصوص أن نمد أيدينا إلى إخواننا وأخواتنا في المجتمعات الإسلامية، نقول لكم بصراحة: نحن لسنا أعداء، إنما أصدقاء، يجب ألَّا نكون أعداء». (إبراهيم 2007م، 18).

على الرغم من أن القاعدة تعدُّ بالتأكيد حركة إسلامية عالمية، فإن حركتها تفتقر في الواقع إلى ما يعد تقليديًّا (جهازًا سياسيًّا)، لا تمتلك القاعدة مشرِّعين، أو سياسيين، أو محاكم، أو حتى قوانين دستورية محدَّدة بوضوح. بدلًا من هذا، (عقيدة) القاعدة مزيج كبير من تفسيرات قرآنية وفتاوى من أفراد ليسوا مؤهلين غالبًا لإصدارها، والتنفيذ الشكلي لـ (أصول الفقه) غير محدَّد أو مفهوم بصورة واضحة؛ فإذا خرق أحدهم قانونًا لـ (القاعدة) ضمن التنظيم، فلا يوجد كيان حكم أو قضاء محدَّد سابقًا يمكن اللجوء إليه فورًا كيانًا لتنفيذ العقوبة. وتنبثق حقيقة مشابهة مع الحركة الإسلامية العالمية الأكثر حداثة التي ظهرت إلى العلن؛ داعش.

كما ذكرت في الفقرة السابقة، يكمن اللجوء إلى العنف في جوهر رسالة القاعدة، فيما يتعلق بالعنف ضد الغرب، تقول إحدى أدبيات القاعدة:

«حكم قتل الأمريكيين وحلفائهم - مدنيين وعسكريين - فرض عين على كل مسلم يمكنه فعل هذا وفي أي بلد - حتى يتحرر المسجد الأقصى [القدس]، وحتى تنسحب جيوشهم من أراضي الإسلام، مهزومة، مدحورة، لا تستطيع تهديد أي مسلم». (إبراهيم 2000م، 13).

يستطيع المرء أن يرى أن هذه المطالب عريضة جدًّا، وعلى الرغم من أنهم يتكلَّمون عن تحرير الأقصى والمناطق المحتلة، فإنهم لا يحدِّدون في الواقع ما يعنيه هذا. من أجل التحرير تحريرًا لائقًا، من سيتولى القيادة؟ وكيف يجب أن يعملوا؟ لا يجري التطرُّق إلى أي من هذه الأسئلة المحددة، ويمكن قول الشيء نفسه على الطلب المبهم بضرورة قتل الأمريكيين حتى (يُدحروا، ولا يستطيعوا تهديد أي مسلم). هذا طلب آخر غير محدَّد، وتبدو مثل هذه المطالب

الإيديولوجية واسعة النطاق التي تفتقر إلى أرضية صلبة موضوعًا شائعًا لدى كثير من الحركات الإسلامية العالمية.

وعلى الرغم من الافتقار إلى أرضية صلبة وفقًا إلى كثير من المعايير المستخدمة، فإن الشيء الواضح في حال القاعدة هو رغبةٌ في رؤية سقوط الغرب، ووفقًا لوثيقة عضو القاعدة المعروف والقيادي فيها سيف العدل بعنوان إستراتيجية القاعدة إلى سنة 2020م، سينهار النظام الاقتصادي الأمريكي في النهاية بحلول عام 2020م؛ بسبب الاشتباكات العسكرية الكثيرة في أرجاء الكوكب كله؛ الأمر الذي سيؤدي في نهاية المطاف إلى إطلاق جهاد بقيادة القاعدة، وإنشاء خلافة سلفية ستحكم العالم (عطوان 2006م)، وتعدُّ الرغبة الصريحة في تدمير دول قومية أخرى وسبل عيشها اختلافًا رئيسًا بين حركات إسلامية محلِّية وعالمية.

ابتداءً من عام 2014م، كانت القاعدة قد تراجعت إلى مقعدٍ خلفي لمصلحة حركة إسلامية عالمية جديدة غيَّرت اسمها حتى الآن ثلاث مرات؛ إذ كانت أصلًا الدولة الإسلامية في العراق والمشرق، ثم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)، في حين تتخذ الحركة الآن ببساطة اسم الدولة الإسلامية[3]، ونظرًا إلى جدِّية التهديد العالمي الذي تفرضه الدولة الإسلامية، يقول رئيس الوزراء البريطاني ديفيد كاميرون: «نواجه مع الدولة الإسلامية في العراق والمشرق [داعش] تهديدًا جديدًا خطيرًا، مصممًا وحازمًا في السعي من أجل تحقيق أهدافه». (خمامي 2014/8/16م). لقد استطاعت داعش تكوين ائتلاف غريب ضدها، وفيه الولايات المتحدة، وبريطانيا العظمى، والحكومة العراقية الحالية، ونظام الأسد، والثوار السوريون المعتدلون، والأكراد، وإيران أيضًا، وتمثِّل الدولة الإسلامية مزيجًا من جماعات متنوِّعة مرتبطة بالقاعدة في بوتقة (متماسكة) واحدة قد أعلنت نفسها خلافة؛ أمر لم تحاول حتى

القاعدة فعله قط، مع كون قائدها أبي بكر البغدادي شخصية مبهمة مجهولة الماضي تمامًا تقريبًا.

في أثناء إعداد هذا المقال، لا يزال غموض كبير يكتنف داعش، وهناك شيء واحد واضح حتى الآن: لقد نقلوا العنف إلى مستوى جديد من الإنتاج المسرحي قد فاق حتى أفعال القاعدة؛ ففي مدة أسابيع في أثناء صيف 2014م، قُطعت رؤوس مراسلين أمريكيين، هما ستيفن سوتلوف وجيمس فولي، وعامل الإغاثة البريطاني ديفيد هاينز، بأسلوب همجي في أفلام فيديو علنية رهيبة بدا واضحًا أنها متعمَّدة ومعدَّة إعدادًا دقيقًا. داعش فاعلة حاليًّا في جهودها للاستيلاء على أراضٍ جديدةٍ، وقد أحكموا سيطرتهم على مناطق شاسعة في شمال العراق، وعبروا الحدود إلى سوريا. في هذه المرحلة، يبدو مستحيلًا تقويم التنظيم الإداري ضمن داعش نظرًا إلى سرية التنظيم نفسه ومحدودية الأبحاث عن الموضوع في وقت كتابة هذا المقال. وعلى كل حال، إذا أخذنا في الحسبان تعيين خليفة قوي، يبدو منطقيًّا الافتراض أن داعش منظمَّة داخليًّا حول نماذج تقليدية وجذابة من السلطة، مقارنة بنماذج قانونية رشيدة أوجزها ماكس ويبر في دراساته عن البيروقراطية في السياسة بوصفها مهنة. (ويبر 1946م).

حزب الله، الحالة الهجينة

سينظر القسم الأخير بإيجاز إلى حزب الله الذي ربما يعدُّ أفضل مثال لما قد يعدُّه المرء حركة هجينة يمكن وضعها في مكان ما بين حركة وطنية وعالمية. وعلى الرغم من أنه حزب سياسي تقنيًّا ويتخذ من لبنان مقرًّا له، فإنه فاعل في علاقات خارجية وإقليمية وأخرى منذ أكثر من (30) عامًا، وكان أفراده المقاتلين الرئيسين في حروب حديثة ضد إسرائيل، وقد قدَّم أخيرًا مساعدة عسكرية إلى نظام بشار الأسد في الحرب الأهلية السورية الحالية. وبخلاف

حـركات وطنيـة، أعضـاؤه ليسـوا مسـتقلين تمامًـا، ويرتبطـون ارتباطًـا وثيقًـا، ويتأثرون أيضًا، بالحكومة الإيرانية وكيانات خاصة أخرى (ليفيت 2013م).

والمثير للاهتمـام أنهـم يدمجـون عناصر مـن كلا نوعي الحركتـين موضوع النقاش. ومثـل الحـركات الإسـلامية الوطنيـة، لا يوجد حزب الله على هامش المجتمـع، ولـه أنصـار كثـيرون في المناطـق التي يهيمـن عليها الشـيعة في لبنان. لديهم أيضًا بنية تنظيمية داخلية رسـمية معروفة دُرسـت بنحو شـامل (نورتون 2014م). وضمن حزب الله، هناك مجالس وتنظيمات عدَّة، ولديه أيضًا جهاز دعايـة شـامل، وفيه محطة تلفازية خاصـة هي المنار، التي يمكن مشـاهدة بثِّها الأرضي في أرجاء لبنان كلها.

وعلى كل حال، شـأنه شأن حركة إسلاموية عالمية، يعمل حزب الله في سياق عالمي أوسع كثيرًا من الحدود اللبنانية. وعناصر حزب الله يستخدمون العنف، ويطرحـون غالبًا خطابًا عنيفًا يشـجب الصهيونية، والغرب، ومجموعات سـنِّية أخـرى، بخاصـة تلـك التـي يُظـن أنهـا مرتبطـة بـدول اقليمية (ليفيـت 2013م ونورتـون 2014م). وعندما تظهر حجة سياسـية، يشـجبون العنف ويدعون إلى مصالحـة بـين الطوائف الدينية المختلفـة في لبنان، وعندما تكـون هناك ذريعة سياسـية، يدعون إلـى العنف ضد من يصفونهم بأنفسـهم على أنهم «متعاونون صهاينة-وهابيون».

تولَّـى زعيمهم الحالي؛ حسـن نصـر الله، منصب الأمين العـام للجماعة في عام 1992م بعد أن اغتالت قوات الدفاع الإسـرائيلية عباس الموسـوي، ويستمدُّ نصـر الله نفـوذه من المصادر الثلاثة كلها للسـلطة وفقًا لـ (ويبر): «من سـلطة قانونية رشيدة، تستند إلى سلطات مُنحت له في الميثاق الرسمي والإطار القانوني المطور للحزب، ومن سلطة شخصية جذابة قائمة على شعبيته التي اكتسبها عن

طريق خوض حروب واشتباكات عدَّة ضد إسرائيل، ومن سلطة تقليدية تستند إلى حقيقة أنه سيد، أو يُظن أنه من النسل المباشر للنبي محمد (عليه الصلاة والسلام)، عبر حفيده الحسين (عليه السلام)، ما يمنحه تلقائيًّا مكانة في مجتمع الشيعة أعلى من أشخاص آخرين».

خاتمة

لقد بذلت كل حركة سياسية في خطابها الإسلامي جهودًا لمعالجة قضايا مثل (الحقوق والحرّيات) بطريقتها الخاصة. وفي السنوات الأخيرة، كانت هناك كتابات كثيرة عن موضوع الحقوق الفردية. وفقًا لطارق رمضان:

«ليس هناك غموض أبدًا بشأن التوجُّه الأخلاقي الذي يقدِّمه الإسلام: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ - مبدأ ينطبق على البشر كلهم من نساء ورجال، أغنياء وفقراء، سود وبيض، مسلمين أو غير مسلمين. إنه المبدأ الأساسي والرئيس للعدالة الاجتماعية التي تعتمد، بالممارسة، على شرطين؛ حقوق متساوية وفرص متساوية. (رمضان 2012م، 125).

وسعى هذا المقال إلى إظهار بعض الموضوعات والاختلافات الواضحة بين حركات إسلامية وطنية وعالمية. وأحد الأشياء التي تميِّز حركات إسلامية وطنية عن حركات إسلامية عالمية هو مقاربة كل حركة لمواقف سياسية متنوِّعة وأنظمة قيم دينية مختلفة.

وتنحو حركات إسلامية تعمل ضمن حدود وطنية قائمة إلى ضم سكان متنوِّعين لها، ما يُكسبها أحيانًا دعمًا من علمانيين. وفقًا لـ (عيادات): «يتشبَّث العلمانيون بمبادئهم، ويخشون قيام دولة دينية متطرِّفة مثل إيران، لكن مقدارًا متزايدًا من الدعم يُقدَّم إلى حركات إسلامية معتدلة، مثل الإخوان المسلمين

في مصر أو النهضة في تونس؛ لأن بنيتها تسمح بالتوفيق بين معتقدات دينية وتضمين سياسي». (عيادات 2013م، 734). والحركات الإسلامية الوطنية أكثر تنظيمًا داخليًّا ولها بنى إدارية قائمة أساسًا على سلطة قانونية رشيدة، ولا تسعى إلى ضم/الاستيلاء على أراضٍ، وتعمل ضمن السياق العام للسياسات المحلية.

ولا تمتلك الحركات الإسلامية العالمية غالبًا بنية تنظيمية/إدارية واضحة، وعملية رسم السياسة فيها مبهمة وغير شفَّافة، وتفتقر تمامًا في أغلب الأحيان إلى مؤسسات توجد بوجه عام في أي كيان إداري حديث يعمل بصورة طبيعية. وتدعو هذه الحركات عادة إلى العنف والفتح، وتسعى غالبًا إلى توسيع حدود أراضيها باستمرار. ويكون العنف عادة مقترنًا بإعدامات وحشية معدَّة جيدًا ومصوَّرة في أفلام فيديو لأشخاص غير مقاتلين، وتوجد تلك الحركات بوجه عام على هامش المجتمع السياسي. يجب أن يدرك الناس جيدًا هذه الاختلافات المهمة قبل أن يربطوا من فورهم كلمة (سلاموية) بهجمات 9/11 الانتحارية.

ملاحظات

1. من أجل نقاش أكثر تفصيلًا عن فكرة الحكم الرشيد، انظر بو. روثشتاين. (2011م). جودة الحكومة: الفساد، والثقة الاجتماعية، والتباين في المنظور العالمي. شيكاغو، إيلينوي: مطبعة جامعة شيكاغو.
2. البند 3 (س)، قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة. 3314، 14 كانون الأول 1974م.
3. من أجل التوضيح، سيتناول هذا المقال الدولة الإسلامية على أنها (الدولة الإسلامية في العراق والشام).

المراجع	الرابط الإلكتروني
أندرو بوروز-جونسون، (2013م). **حركات أيرلندية وإسلامية عالمية**. E_International Relations.	http://www.e-ir.info/2013/05/03/transnational
د. كيركباتريك وم. الشيخ، **بيان الإخوان المسلمين عن النساء يثير مخاوف الليبراليين**، New York Times، 14 آذار 2013م.	http://www.nytimes.com/2013/03/15/world/middleeast/muslim-brotherhoods-words-on-women-stir-liberal-fears.html?_r=0
ن. خمامي، **كاميرون يحثُّ على اتخاذ تدبير سريع ضد داعش**، The Guardian. 16 آب 2014م.	http://www.theguardian.com/world/2014/aug/16/cameron
أ. لويس، لمحة: **حزب النهضة التونسي**، BBC News، 25 تشرين الأول 2011م.	http://www.bbc.co.uk/news/world
بيترو لونغو، (2014م). **انتخابات تونس القادمة وسط إعادة صياغة إستراتيجية للتحالفات**.	http://www.e-ir.info/2014/08/05/tunisias
م. مرسي، (2012م). **لقد أصبحت اليوم رئيس كل المصريين**، ترجمته إلى الإنكليزية حركة الإخوان المسلمين، ونقلته الغارديان، 25 حزيران 2012م. النسخة الإلكترونية:	http://www.theguardian.com/commentisfree/2012/jun/25/president

- عبد الباري عطوان، (2006م). **التاريخ السري للقاعدة**. بيركلي، كاليفورنيا: مطبعة جامعة كاليفورنيا.
- زيد عيادات، (2013م). **فقه القبيلة والربيع العربي**: التنظير الإسلامي الحديث. Philosophy & Social Criticism، 39(8): 733-753.
- ر. الغنوشي، (1998م). **مشاركة إسلاميين في حكومة غير إسلامية**. في س. كورزمان، Liberal Islam: A Sourcebook. نيويورك: مطبعة أوكسفورد. الصفحات 271-278.
- خالد الحروب، (2002م). **حماس: الفكر والممارسة السياسية**. واشنطن العاصمة: معهد الدراسات الفلسطينية.
- ج. حسين، (2010م). **تاريخ مقتضب للإسلاموية** (Concept Series). لندن: كويليام.
- ريموند إبراهيم، (2002م). **قارئ القاعدة**. نيويورك: برودواي للكتب.

- جيمس كراسكا، (2010م). **تحديد القانون في حال حصار إسرائيل البحري لغزة**: بند الحرب البحرية من قانون البحار؟، في شميت، وأريماتسو ومكورماك: الكتاب السنوي للقانون الإنساني الدولي ـ 2010: 2010م. المجلد 1. لاهاي، هولندا: مطبعة ت.م.س آشر. الصفحات 367-396.
- م. ليفيت، (2013م). **حزب الله**: الأثر العالمي لـ (حزب الله اللبناني). واشنطن العاصمة: مطبعة جامعة جورج تاون.
- كوين ميكام، (2006م). **لماذا تصبح الجماعات الإسلامية عالمية وعنيفة؟**، MIT Center for International Studies Audit of the Conventional Wisdom، 06-11.
- أ. مقدم، (2008م). **عولمة الشهادة: القاعدة، والجهاد السلفي، وانتشار الهجمات الانتحارية**. بالتيمور: جامعة جونز هوبكنز.
- ر. نورتون. (2014م). **حزب الله**: تاريخ مقتضب. برينستون، نيوجرسي: مطبعة جامعة برينستون.
- سيد قطب، (2007م). **معالم في الطريق**. دمشق، سوريا، غازي للنشر.
- طارق رمضان، (2012م). **اليقظة العربية**: الإسلام والشرق الأوسط الجديد. لندن: ألن لين.
- أوليفر راي، (2004م). **إسلام معولم**: البحث عن أمَّة جديدة. نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا.
- باري روبين، (2010أ). **مدخل إلى تقويم الإسلام المعاصر**. في عمل ب. روبين؛ دليل حركات إسلامية عالمية. نيويورك: م.إ. شارب للنشر.
- باري روبين، (2010ب). **مقارنة حركات الإخوان المسلمين الثلاث**. في عمل ب. روبين؛ الإخوان المسلمون: السياسات التنظيمية لحركة إسلامية عالمية. نيويورك: بالغريف مكميلان. الصفحات 1-18.
- عبد الله سعيد، (1999م). **إعادة التفكير في حقوق المواطنية لغير المسلمين في دولة إسلامية**: إسهام راشد الغنوشي في النقاش المتطوِّر. Islam and Christian Muslim Relations. 10(3): 307-323.
- أ. سويج وج. ف. فرانغانيلو، (2010م). **الإخوان المسلمون في مصر**، في عمل ب. روبين؛ الإخوان المسلمون: السياسات التنظيمية لحركة إسلامية عالمية. نيويورك: بالغريف مكميلان. الصفحات 39-55.
- ماكس ويبر، (1946م). **السياسة بوصفها نداءً باطنيًّا للاضطلاع بمهام**. في غارث وميلز؛ مقالات في علم الاجتماع. نيويورك: مكميلان. الصفحات 25-46.
- ر. رايت، (2001م). **الغضب المقدَّس**. نيويورك. سيمون وشوستر.